

دلالة الصيغة الصرفية و دورها في بلاغة الحجاج في القرآن الكريم: سورة "الأنعام" أنموذجا.

The Significance of Morphological Form and Its Role in the Rhetoric of Argumentation in the Quran: A Case Study of Surah Al-An'am.

أنصر محمد الصالح

جامعة باتنة 1، الجزائر ، mohamedsalah.hmanseur@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/04/29

تاريخ الاستلام: 2025/03/04

ملخص:

إن الصيغة الصرفية عنصر دينامي نشط في بناء المعنى وتوجيهه، بما تختزنه من طاقة دلالية وقوة تأثيرية. فتوظيف صيغة صرفية بدلا عن أخرى هو اختيار بلاغي، كثيرا ما يرافقه عدول أسلوبى يستهدفان غاية تداولية: هي التأثير في المتلقي؛ استمالة، أو دحضا، أو زيادة في التأييد. و هذه فرضية تطرح الإشكالية التالية: ما علاقة الصيغة الصرفية بالدلالة المتولدة عنها؟ وإلى أي مدى يمكن للصيغ الصرفية الإسهام في البناء البلاغي للقرآن الكريم؟ ثم كيف للصيغ الصرفية الموظفة في الخطاب القرآني أن تحتاج، وتتخرط في الفعل الإقناعي له.

ومن أجل ذلك سنعمد في هذه الورقة البحثية على المنهج التداولي المتلائم مع طبيعة البحث، هذا الذي تكمن أهميته في تمحوره حول الصيغة الصرفية لكلمات القرآن بما تمثله في بنية الخطاب من كونها مفصل وظيفي يربط بين المستوى الصوتي والمستوى المعجمي، دلاليا وتداوليا . وهو بالتالي يهدف إلى الكشف عن دور علم الصرف في تفسير المعنى الحجاجي للمفردة القرآنية.

كلمات مفتاحية: دلالة صرفية، عدول، اختيار، حجاج، إقناع.

Abstract:

Morphological form is a dynamic and active element in constructing and directing meaning, owing to its inherent semantic energy and influential power. The use of

one morphological form in place of another constitutes a rhetorical choice, often accompanied by stylistic deviation, both of which aim to achieve a pragmatic goal: influencing the recipient through persuasion, refutation, or reinforcement of support. This hypothesis raises the following questions: What is the relationship between a morphological form and the meaning it generates? To what extent can morphological forms contribute to the rhetorical structure of the Quran? And how do the morphological forms employed in Quranic discourse engage in argumentation and participate in its persuasive act?

To address these questions, this research paper adopts a pragmatic methodology suited to the nature of the study. The significance of this approach lies in its focus on the morphological forms of Quranic words, which function as a pivotal link between the phonetic and lexical levels of discourse, both semantically and pragmatically. Consequently, the study aims to uncover the role of morphology in interpreting the argumentative meaning of Quranic vocabulary.

Keywords: morphological significance ;déviation; choice; argumentation; persuasion .

1. مقدمة:

تناولت الدراسات القرآنية القرآن من زوايا مختلفة، وبمناهج علوم القرآن المتعددة، ولا تخلو هذه الدراسات من حضور لغوي ونفس حجاجي، حوته طيات التفاسير، وبطون كتب علوم اللغة، ويعد علم الصرف أحد تلك العلوم التي ساءلت النص القرآني من منظورها، لتجيب بنفسها وعلى نهجها، وقد حوت هذه الإجابات معان إقناعية حجاجية، في شكل أولي خام ومرات في صورة مفصلة مبررة؛ وفي ضوء تفسيرات القرآن وفي دائرة الصيغة الصرفية تذهب هذه الورقة البحثية نحو الكشف عن دور الصيغ الصرفية في بناء الفعل الحجاجي للقرآن.

1. الصيغة الصرفية في بنية الخطاب، الوظائف والدلالة:

1.1. في العلاقة بين البنية والدلالة :

النظام الصرفي العربي نظام مقيد تتحكم فيه مجموعة من الأوزان المضبوطة لا تخرج عنها مفردات اللغة إلا في ما هو مقترض من اللغة العامة أو اللغة المختصة مثل تلفاز وباص وكمبيوتر وترانزستور... إذ علاقة الائتلاف الشكلية بين الوحدة المعجمية وصيغتها تذكرنا بالتنشبيه الذي ساقه سوسير بوصف مكوني الدليل اللغوي المتصلين بوجه الورقة وقفها: فلا يمكن فصل دال العلامة عن مدلولها كما لا يمكن فصل شكل المفردة عن محتواها. فالجذع هو الوجه بداله ومدلوله والوزن هو القفا بشكله ومضمونه.¹

وقد تناول ابن جني (ت:392هـ) صلة المبنى بالمعنى في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية واعتبر الدلالة الصناعية التي قوامها الصيغة أو البناء «صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعترزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به²، وعد ابن اجني الدلالة الصناعية أقوى من الدلالة اللفظية

والدلالة المعنوية فكسر وقطع يفيدان لفظا معنى الحدث ويفيدان صورة أي شكلا الماضي وتكثر الفعل. أما ضارب «فيفيد بلفظه الحدث وبنائه الماضي وكون الفعل من اثنين وبمعناه على أن له فاعلا فتلك أربعة معان»³ فقد سعى ابن جني إلى الربط بين الصوت والدلالة معتمدا على تقارب الألفاظ وتماتها، وفي هذا النحو سار الجاحظ في بين وظيفة الصوت، كما فطن لذلك ابن قيم الجوزية⁴.

تتكون الصيغة وفقا لذلك «من ثلاثة مكونات هي الصوت والبنية والمعنى، فهي تحمل دلالتها في ذاتها وتقوم بدور وظيفي تمييزي وليست مجرد قوالب جامدة ترتيبية، فكاتب تحمل في شكلها دلالة الفاعلية من مقولة الصفة محيل على المفعولية وتنتمي لنفس المقولة المعجمية وهي مقولة الصفة. فالصيغة مكون صرفي شكلي يمثل نمطا صيغيا لمقولة ما من المقولات المعجمية عدا الأداة وهي ظاهرة صرفية تقوم على علاقات ائتلافية هي علاقات الشكل بالمعنى.⁵ وقد عدها ابن جني من الدلالة الصناعية واعتبرها الاستراباذي هيئة لمفردة أمكن أن يشاركها فيها غيرها»⁶. فهي تدل على معان ثابتة قارة غالبا.

وقبل ابن جني والاستراباذي عني سيبويه (ت 180 هـ) عناية فائقة بالميزان الصرفي لما له من أهمية في الصرف العربي وفي التوليد المعجمي.

فالبناء أداة شكلية ودلالية منها ما هو دال على الحدثية ومنها ما هو للفاعلية أو المفعولية، أو الكم وغيرها من المعاني. واهتم سيبويه بالأبنية الخاصة بالصفات وبالأفعال وبالمصادر أيضا⁷، فالصيغة بهذا المفهوم تؤدي وظيفة عامة إما أن تلحق الوصف بالإسم أو الزمن بالفعل أو تفرق بين دلالات الأفعال في الزمن الواحد وهذه الدلالات متولدة عن علاقة المبنى بالمعنى⁸.

ونخلص بذلك إلى أن ثمة أمورا أربعة يمكن أن تحدد ماهية الصيغة، وتفرقها عن غيرها من المصطلحات وهي:

1. هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها.
 2. كون هذه الهيئة مثالا يحتذى، ويصاغ على هيئته.
 3. كونها متصرفة ودالة على أصل اشتقاقي صيغت منه.
 4. كونها دالة على معنى وظيفي تفيده الصيغة أو القالب الصرفي.⁹
- فالصيغة تملك وظيفة اختزالية متمثلة في أنها تختزل عددا من المعاني المتألفة والمتشابهة وحتى المتقابلة في حقل معجمي واحد. كما لها فضل اختزال الجمل أيضا فعوض أن نقول ضرب محمد عليا وضرب علي محمدا نستعمل صيغة واحدة دالة على المشاركة والتبادل وهي تضاربا. هذا الاختزال صرفي معجمي وله أيضا خاصية كلامية صوتية هي تحقيق المجهود الأدنى في الكلام.¹⁰ فعلاقة الشكل بالمحتوى تتحقق بتوالف نظامين لغويين وارتباطهما هما النظام الصرفي ببنيته وصيغته والنظام الدلالي بما تحمله البنية من معنى معجمي عام ومعان جزئية، وينتج عن هذا أن يكون لدلالة الصيغة دلالتان: معجمية، وصرفية.

2.1. الدلالة المعجمية:

وهي الدلالة الأساس التي تمثل " جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقها و أبنيته الصرفية." و أطلق عليها ابن جني (الدلالة اللفظية)، وقال: "ألا ترى إلى قام و دلالة لفظه على مصدره"، أي قام يدل على القيام، و عدها أقوى الدلالات في قوله "فأقواهن الدلالة اللفظية" لإسهامها في بيان معاني الوحدات المعجمية اللغوية، فهي مكتنزة بقيمة أساس عبر اللفظ نفسه.¹¹

فالدلالة اللفظية إذن تساوي عنده الدلالة المعجمية، فمثلا (قَطَعَ) يدل على حدث ما وهو (القَطْع)؛ وعند اشتقاقنا أبنية عدة من لفظ (قَطَعَ) فإن الدلالة الأساسية أو المركزية تبقى مرتبطة باللفظ مهما تغير تصريف الكلمة، نحو: يقطع، وقاطع، ومقطوع، ومقطّع.

فنلاحظ أن الجذر الأساسي، وهو (قَطَعَ) موجود، ودلالته كذلك، فضلا عما زيد عليه من دلالات أخر للكلمة. فالدلالة المعجمية : هي النواة الأساسية أو المركزية التي تنطلق منها الدلالات الأخرى و يبقى اللفظ محافظا على قيمته الأساسية بواسطة الجذر مهما تصرفت الكلمة أو أخذت موقعا ما.¹²

3.1. الدلالة الصرفية:

وهي الدلالة التي تولد من بنية الكلمة ويقصد بها "الدلالة التي تُستمد من طريق الصيغ و بنيتها"¹³ لأنها تُمثل معنى الوزن إذ فيه زيادة لم تكن موجودة في اللفظ نفسه نحو: ضارب الدال على معنى المشاركة ، وهي تلي الدلالة اللفظية من حيث القوة ؛ لأنها صورة حملها اللفظ، فهي دلالة البناء على معنى من المعاني، قال ابن جني: "و إنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها و إن لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، و يخرج عليها، و يستقر على المثال المعترزم بها فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، و جرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلوا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة"¹⁴

فالدلالة الصناعية، وإن لم تكن لفظية، إلا أن هناك ملازمة بينها و بين اللفظ فهي صورة حملها اللفظ، وكثيرا ما نجد ابن جني يربط بين البناء و معناه ، ومن أمثلة الدلالة الصناعية ما عزاه إلى الفعل و المصدر أما الفعل فقال عن: "ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، و دلالة بنائه على زمانه"¹⁵ ، فالبناء الثلاثي للفعل فيه دالتان : لفظية وصناعية ، فاللفظية دلالة قام على القيام، و الصناعية دلالة البناء على الزمن أما المصدر فإن بناءه صالح للأزمنة الثلاثة ، قال: "و كذلك الضرب و القتل : نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما و نفس الصيغة تفيد فيهما صلاحهما للأزمنة الثلاثة"¹⁶ أي يكون بناء المصدر صالحا للأزمنة الثلاثة.

والملاحظ أن ابن جني قد عزا إلى بناء الفعل و المصدر المجردين دلالتهما على الزمن و لم ينسب إليهما دلالة أخرى على حين نجده في البناء المزيد ينسب إليه دلالة التكثر أو المشاركة و نحوهما إلى جانب الدلالة الزمنية فمثلا نجد أن الفعلين (قَطَعَ و كَسَرَ) فلفظهما يفيد معنى الحدث، أي الدلالة على المصدر، و بناؤهما يفيد أمرين أحدهما: الدلالة على الماضي ،و الآخر: الدلالة على تكثر الفعل ، فالفعلان (قَطَعَ و كَسَرَ) يدلّان على القطع والكسر، وهي دلالة اللفظ نفسه، لكننا لو قلنا (قَطَعَ و كَسَرَ) بالتشديد فإن صورة اللفظ تنتج لنا دلالة التكثر وهي دلالة اللفظ نفسه، لكننا لو قلنا (قَطَعَ و كَسَرَ) بالتشديد فإن صورة اللفظ تنتج لنا دلالة التكثر، و هي دلالة البناء، وهذا هو الترقّي في الدلالة من المعجمية إلى الصرفية.¹⁷

والملاحظ أن الصرفيين عزوا الدلالة الصرفية إلى الأبنية المزيدة سواء كانت فعلية أو اسمية؛ لأن الأبنية المجردة لم تقيد بمعان معينة كما قُيدت بذلك المزيدة. وهذا ما نلاحظه في أبنية الأفعال و المصادر و المشتقات، إذ إن المعاني الصرفية فيها قد عزيت إلى الأبنية المزيدة إلا ما ندر، فكثير منها مطّرد في دلالاته.

وقد تنبه علماء العرب لهذه الدلالة، ففطنوا إلى أن ما تؤديه صيغة يمكن أن يختلف عما تؤديه صيغة أخرى، وذلك مثل صيغة (أفعل) فإنها تؤدي معاني لا تؤديها صيغة (فَعَل)، ومن هذه المعاني: الدخول في الشيء زمانًا أو مكانًا، وذلك كما قال ابن قتيبة في حديث النبي: إِنَّ عُمَرَ قَالَ: إِنَّ الْمَشْرُوكِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: "أَشْرَقَ ثَبِيرٌ..."¹⁸

قولهم: أَشْرَقَ ثَبِيرٌ هو من شُرُوقِ الشمس...، وإِنَّمَا يريدون: ادخل أيها الجبل في الشُّرُوق، كما تقول: أَشْمَلِ الْقَوْمَ، إِذَا دَخَلُوا فِي رِيحِ الشَّمَالِ، وَأَجْنَبُوا، إِذَا دَخَلُوا فِي الْجَنُوبِ، وَأَرَاخُوا، إِذَا دَخَلُوا فِي الرِّيحِ، وَأَرَبَعُوا، إِذَا دَخَلُوا فِي الرِّبْعِ.

2 - طبيعة المكون الصرفي .

لا تتحقق الصيغة بمعزل عن أهم مكوناتها وهي الصوت والبنية والمعنى، ولا تتحقق دلالتها دون الرجوع الى الجذر والوزن وما يلصق بالجذع من زوائد معجمية في بداية المفردة وهي السوابق **préfixés les** وفي وسطها وهي الدواخل **infixés les** وفي اخرها وهي اللواحق **suffixés les**، فتتفاعل هذه العناصر كلها لتتحقق في مفردة على شكل مخصوص قياسي غالبا وبدلالة معينة انتظامية عادة إذ المباني رموز للمعاني في ما خرج من الحقيقة إلى المجاز، واللغة العربية نظام من المباني ذات معان تعمل في بناء مفرداتها وانتظامها في حقول معجمية على نظام صرفي مضبوط ومقيد وعلى نظام دلالي تدل عليه أشكال الصيغ.

علاقة المبنى بالمعنى كما حللها سيوييه هي علاقة الدال في مكونة الصرفي بالمدلول ولذلك تختلف دلالة الأنماط الصيغية «فعل يفعل فعلا فهو فعل» التي للأدواء، عن دلالة الأنماط الصيغية «فعل يفعل فهو فعل وفعل» الدالة على الصفات اللازمة للنفوس نحو شريف وخفيف ووضع.

3. الصيغ الصرفية والنص القرآني:

الدلالة الصرفية هي دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها. فلا يكفي لبيان معنى " استغفر " بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب. وفي باب " معاني صيغ الزوائد " أمثلة أخرى كثيرة¹⁹ فلكل بنية دلالة معينة، والبنية من ضمن ما يحدد المجموعات (الأسماء - الأفعال - المصادر) وكل مجموعة لها مباني فرعية ذات دلالات معينة.

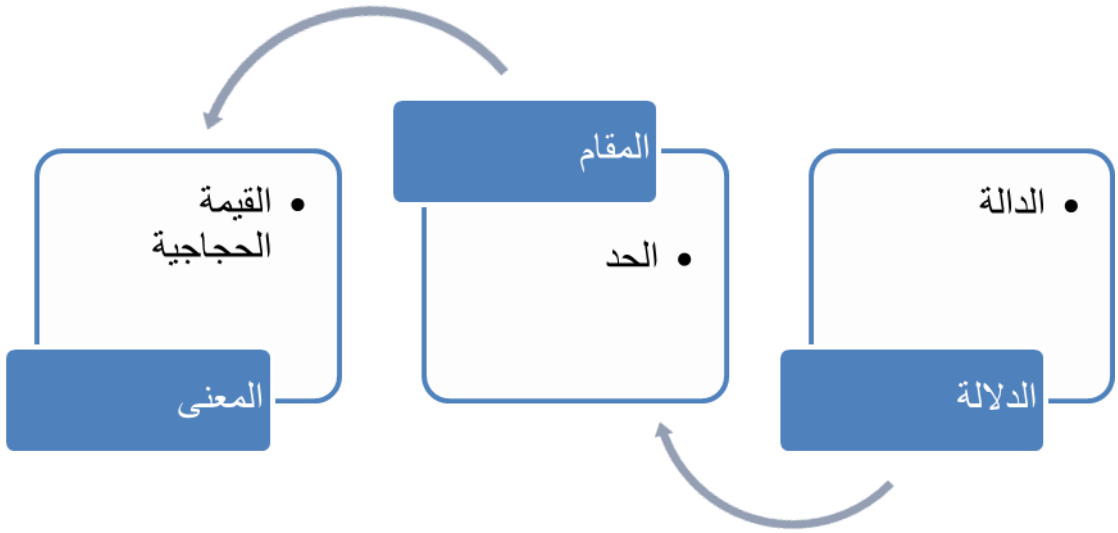
إذا كان تفسير النص القرآني ضرورياً لفهم تركيب كلماته وآياته، وبالتالي فهم المعاني والمرامي من كلام الله سبحانه وتعالى ، فإن علم الصرف لا يقلّ ضرورة عن علم التفسير،

بل إنهما يرتبطان بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً. لذلك أولى علماء اللغة والمفسرون جلّ اهتمامهم للدلالات الصرفية في القرآن الكريم و اشترطوا في المتصدي للتفسير أن يكون ملماً بالعربية (من نحو وصرف)، كما أن تفسير القرآن باللغة هو واحد من مصادر التفسير المعتمدة²⁰

ولذلك نرى من أهداف علم الصرف تقويم اللسان والاحتراز عن الخطأ نطقاً ومراعاة لقانون اللغة كتابة، والاهتداء إلى معرفة معاني الكلمة واستعمالاتها"، فإذا كان الصرف يحميناً من الخطأ ويهدينا للمعاني السليمة ففضله في فهم النص القرآني إذن لا ينكر. وذكر ابن جني محاسن هذا العلم فقال: "يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقه لأنه ميزان العربية وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به"²¹. وقال ابن عصفور: "ومما يبين شرفه أ يضاً أنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به".

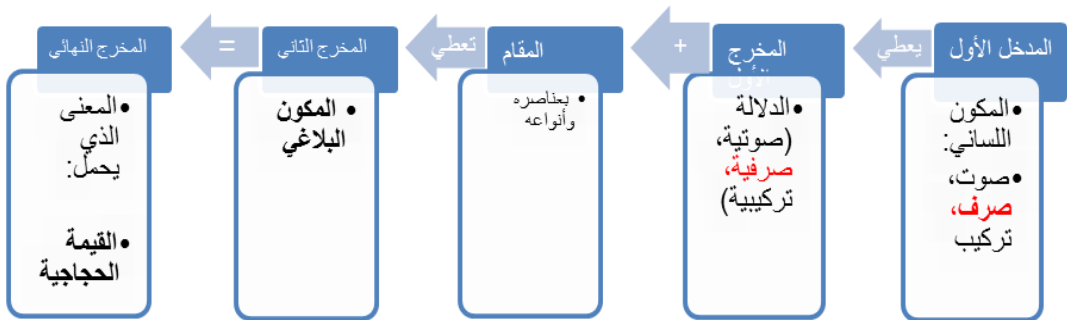
4. الصيغة الصرفية والأثر البلاغي الحجاجي:

ففي سياق (تواصل)، ينتجه مقام محدد، تحمل البنى التركيبية-والبنية الصوتية إحداها- دلالةً، هذه الدلالة تؤول إلى معنى ذي قيمة حجاجية، وفقاً للخطاطة التالية⁽²²⁾:



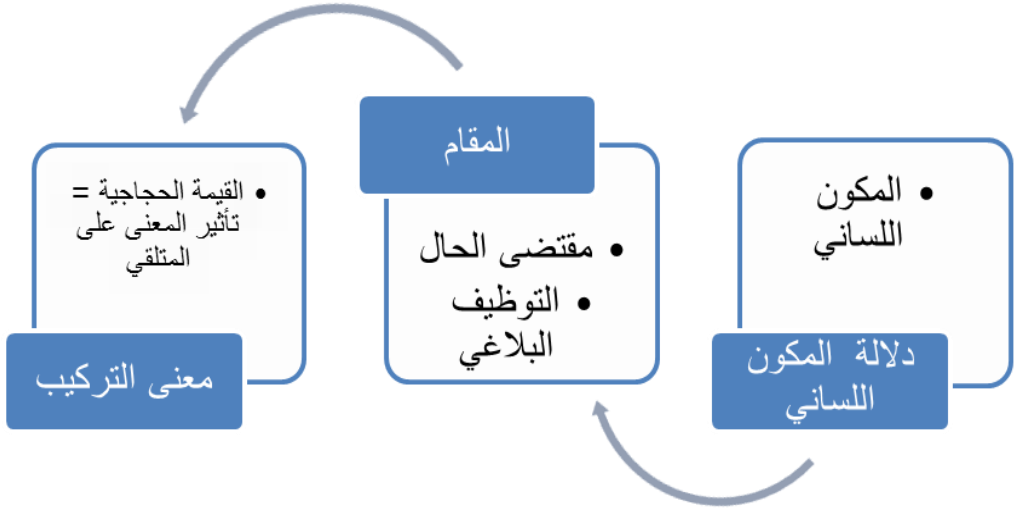
1: خطاطة تبين كيفية تحول البنية الدلالية إلى الحجاجية

ومن أجل توضيح هذه الآلية بصورة أكثر تفصيلا، وبحسب ديكر وفإن الهندسة التداولية تنظر إلى المكون البلاغي بوصفه حلقة وصل بين المكون اللساني، و معنى القول وأثره الحجاجي، حيث يشكل المكون اللساني مدخلا مخرجه دلالة الجملة (الملفوظ)، التي تتعاضد مع المقام (ملابسات إلقاء القول)؛ فيشكلان مدخلا آخر مخرجه معنى القول، الذي يحمل القيمة الحجاجية للقول.⁽²³⁾ ولعل الترسيم التالية توضح المقصود:



2: خطاطة تبين مراحل تحول البنية اللسانية إلى الحجاجية

و الجمع بين الخطاطتين نخلص إلى ما يلي:



3: خطاطة تبين كيفية تحول البنية اللسانية إلى الحجاجية

5. حجاجية الصيغ الصرفية الآلية و الأثر:

إن أهم ما يميز الدلالات المرتبطة بالوحدة المعجمية في صيغتها الصرفية خضوعها لمبدأ الاختيار، أي أنها لم تقم في بنية الخطاب اعتباطاً ، بل قصداً لتحقيق أهداف الرسالة التي لأجلها أنشأ ذلك الخطاب. ولا سيما في خطاب هدفه تحقيق الاستمالة وصناعة الإقناع، والدفع إلى العمل ، وفي هذا الصدد" يرى برلمان أنّ اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره قلماً يكون اختياراً لا تتحكم فيه غايات حجاجية ... "(24) حيث لا مناص من "اختيار الألفاظ المناسبة والعدول عن الأخرى المنفرة الصادمة للوعي أو الشعور أو الحس المشترك، فانسجام المقال مع المقام شرط حجاجي جوهري"(25) لذا ففي تحليل خطاب مبناه على الحجاج والإقناع، والاستمالة والإمتاع " لا يعالج ... المعجم في ذاته ولذاته، بل يعني بالطريقة التي تمت وفقاً لها عملية اختيار ملفوظات أو عبارات تعمل على توجيه الحجاج

وهيكلته⁽²⁶⁾، على اعتبار أن الحجاج عملية إقناعية تأثيرية مبناها على قولين ق 1 وق 2 أحدهما حجة والآخر نتيجة باستعمال مجموعة من التقنيات⁽²⁷⁾، ومن بين هذه التقنيات مبدأ انتقاء الكلمة، فعلى ضوء مبدأ انتقاء الكلمة، تتحدد قيمتها الحجاجية، وتتعرز أكثر بواسطة وظيفتها التوجيهية، التي تمارسها على الخطاب.

ذلك أن " القيمة الحجاجية للكلمة هي بمقتضى تعريفها، الوجهة التي تحددها للخطاب هذه الكلمة"⁽²⁸⁾ لذا؛ ، لا يمكن كشف الوظائف الحجاجية للكلمة في صيغتها الصرفية ، إلا عبر فحص البعدين الاختياري، والتوجيهي لهما.

وتعد الصيغة الصرفية للكلمة أداة من أدوات التأثير في الخطاب الحجاجي، بما تختزنه من معانٍ تضاف إلى معناها المعجمي، فالمتكلم يختار صيغة صرفية دون غيرها لتعبر عن موقفه تجاه موضوع الخطاب، والرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي، مراعيًا في ذلك اختيار الصيغة الأنسب للسياق، فالصيغة الصرفية ترتبط بما ترد فيه من تراكيب نحوية (النظم)، وباجتماع خصائصها الصرفية والتركيبية²⁹، فأبنية الكلمات يمكن أن تتحول إلى رافد إقناعي مهم إذا ما روعيت الملاءمة بينهما وبين الحجج الاستدلالية غير اللغوية في الخطاب³⁰، وهو ما سيتم فحصه في بنية الخطاب القرآني -موضوع التطبيق-، للكشف عن مدى إسهامها في صناعة الفعل الحجاجي للخطاب نصا ومقاما.

6. بلاغة حجاج الصيغة الصرفية في القرآن الكريم، بين الاختيار والعدول. نماذج تطبيقية:

1.6. بلاغة الاختيار الحجاجية:

1/ اختيار صيغة المفرد في "الأرض" و "النور":

يقول المولى عز وجل في فاتحة سورة الأنعام: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)]

يقول الزمخشري: " فإن قلت :لم أفرد النور ؟ قلت :للقصد إلى الجنس، كقوله تعالى
وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا أو لأن الظلمات كثيرة، لأن ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله
ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار "

فاختيار صيغة المفرد "النور" في مقابل صيغة الجمع " الظلمات " جاءت لغرض
إقناعي هو استمالة المخاطب إلى الإقبال على سبيل الهدى وترك سبل الضلال، وحمل له
على النفور من شتات الأهواء والبحث عن الحق الواحد، ولزوم السير عليه.

كما في الآية عدول عن صيغة الجمع إلى صيغة المفرد وذلك في العدول عن
(الأراضين) المناسبة للسموات إلى (الأرض) وهو عدول يتضمن حجة على استحقاق الله
عز وجل للحمد الذي صدر به السورة، بأن جعل موضع القرار والحياة واحدا غير متعدد،
حتى لا ينشغل ساكنوها بغير عمارتها عبادة وحقا، وبناء ونفعا، وجعل السموات متعددة فيها
إله واحد حتى يعبد وحده لا شريك له ذلك أنه أحق بالعبادة إذ هو المهيمن على السموات
بعلاها وتعددتها.

اختيار صيغة المضارع:

اختار الله عز وجل في صدر سورة الأنعام صيغة المضارع حكاية عن سلوك ومواقف
أهل الكفر والضلال في الأفعال: يعدلون، تمترون، يستهزئون وذلك في قوله تعالى: [الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)]
وفي قوله [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)]
وفي قوله [فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5)] وفي
قوله: [قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12)]

إن اختيار صيغة المضارع "يعدلون" بدلاً عن صيغة اسم الفاعل "عادل" وصيغة المضارع "تمترون بدلاً من صيغة "ممترون" وصيغة "يومنون" بدلاً من "آمنوا" فيها شحنة حجاجية تكمن في المحاجة على وقوع العدل بمعنى الإِشراك؛ ووقوع المماراة شكاً وجدالاً؛ ووقوع عدم الإيمان؛ من كل من قام في نفسه مقدمات الكفر، شك في الخالق، وخسارة النفس بالتكذيب، على الترتيب، وفقاً للشكل الحجاجي الآتي:



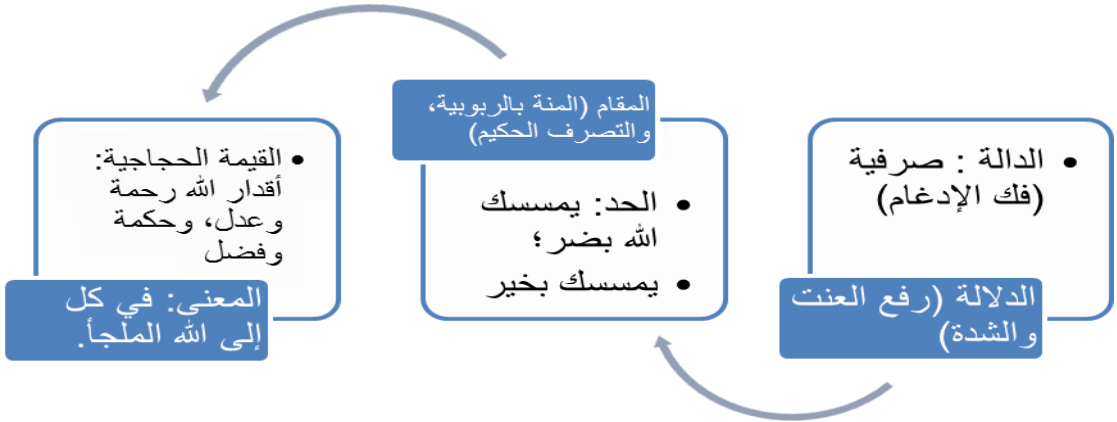
حيث تضطلع صيغة المضارع بقانون العبور بما تفيد من معنى حدوث الفعل وتجده وقتاً بعد وقت أي كلما تجددت المقدمات تجددت نتائجه فمع كل كفر إشراك وعدل بالله ومع كل شك في الخلق ممارسة وجدال حول وقوع البعث، ومع كل إيباق للنفس باتباع هواها رفض للإيمان.

اختيار فك الإدغام على الإدغام:

قال تعالى: [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)] يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "قوله تعالى: (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) ... والمعنى: إن تنزل بك يا محمد شدة من فقر أو مرض فلا رافع وصارف له إلا هو، وإن يصيبك بعافية ورخاء ونعمة (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) من الخير والضرر، روى ابن عباس قال: كنت رديف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: (يا غلام - أو يا بني - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن)؟ فقلت: بلى، فقال: (احفظ الله

يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل الله بالشكر واليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) أخرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب (الفصل والوصل) وهو حديث صحيح، وقد خرجه الترمذي، وهذا أتم.³¹.

إن فك الإدغام في "يمسك" بدل إثباته في "يمسك" فيه عمل حاجي خلاصته أن كل أقدار الله رحمة وخير، في شديدها ويسيرها، فلما كان الإدغام فيه معنى الضغط والشدة، فإن فكه فيه ترويح ورحمة، وهو مكن الحجة التي أدتها الصيغة الصرفية إظهارا للطف الله بعباده، ورفقهم بهم، وهو ما نسب ما اختتمت به الآية في قوله عز وجل: "وهو الحكيم الخبير" فكل أقداره بالرحمة مشمولة، لا سيما على عباده المؤمنين. ويمكن تمثيل هذا الدور الحاجي لفك الإدغام كما يأتي:



اختيار صيغة المبالغة فعيل:

قال تعالى: [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)]

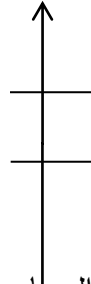
فاختيار صيغة فعيل في " شهيد " جاءت لتأكيد الإجابة عن السؤال المتقدم: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً؟ ورفع أي شك حولها؛ فالله عز وجل أكبر شهادة بل هو الشهيد المستغرق لصفه الشهادة.

وهذا العمل الحجاجي يمكن تمثيله في السلم الحجاجي الآتي:

النتيجة ن: الله واحد لا شريك له

ق2: الله شهيد

ق1: الله أكبر شهادة



ولا بد الإشارة هنا أن هذه السلمية الحجاجية كفلتها صيغة المبالغة في "شهيد". التي جاءت في سياق الحجاج حول وحدانية الله وأنه لا معبود بحق سواه.

2.6. الحجاج بالعدول:

• العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي:

مضى في حجاجية الاختيار في صدر السور اختيار صيغة المضارع في جمل نتائج مقدمات تضمنت صيغ الماضي، غير أن هذا السياق ورد فيه عدول عن هذه التركيبية، وذلك في قوله تعالى: [وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)]، تضمنت هذه الآية عدول إلى صيغة الماضي خلافا للسياق السابق الذي كان فيه الاعتماد على صيغة المضارع الدلة على التجدد، وهو عدول حجاجي إذ إن تنزل الآيات المحسوسة انقطع مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسمه قول الله

عز زجل: [وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)] [سورة الإسراء: 9)، فكان الأنسب توظيف صيغة الماضي الدال على الماضي والانقطاع.

• العدول عن الفعل إلى الاسم:

قال تعالى: [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)] سورة الأنعام.

يقول البغوي (المتوفى : 510هـ) في تفسير هذه الآية: "قوله عز وجل: { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر، فقال: "نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح"، قيل: فهل لذلك [أمانة؟] قال: "نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت". قوله تعالى: { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا } قرأ ابن كثير " ضيقا " بالتخفيف هاهنا وفي الفرقان، والباقون بالتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْنَ وهَيْنَ ولين ولين، { حَرَجًا } قرأ أهل المدينة وأبو بكر بكسر الراء والباقون بفتحها، وهما لغتان أيضا مثل: الدنف والدنف، وقال سيبويه الحرج بالفتح: المصدر [كالطلب، ومعناه ذا حرج] (3) وبالكسر الاسم، وهو أشد الضيق، يعني: يجعل قلبه ضيقا حتى لا يدخله الإيمان، وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. وقال ابن عباس: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيئا من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية، فسأل أعرابيا من كنانة: ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال عمر رضي الله عنه: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.³²

من خلال تفسير الآية وسياقها فإن الله نوه بمنة الهدية على من اصطفى بشر صدره وعبر عن ذلك بالفعل "يشرح"، وفي المقابل لفت الألباب إلى بلاء الضلال وعقوبته، وعبر عن ذلك بالاسم "ضيقة" وأكده بآخر "حرجا"، وفي هذا العدول معنى حجاجيا حاصله: أن الهداية فسحة في الصدر تتجدد مع كل إيمان، وأمام كل امتحان، بخلاف الضلال فإنه انسداد دائم ثابت كدلالة الاسم على الثبات، يتمتع معه سريان النور والحق إلى القلب، ولا عجب أن يعبر عنه القرآن بالختم والطبع في مواضع كثيرة.

7. خاتمة:

إن البحث في القرآن الكريم وفق منظور لغوي يوطره الصرف ويوجهه الحجاج، هو بحث ثري الفائدة، غزير النكت العلمية، حتى إنه مع كل أية أكثر من وقفة تحليلية تستوقفك. ولكن التزاما بمقام هذه الورقة البحثية قد تكون النماذج المقدمة علامات على مكامن لدراسات أعمق وأوسع، ومع هذا فإن هذه الدراسة خلصت إلى نتائج حري ببيانها أهمها:

- علم الصرف على الرغم ما يقوم عليه من قوالب وموازين فهو عن الجمود الدلالي أبعد ومن الحركية المعنوية أقرب ولها أنجع. عبر ما تؤديه الصيغ الصرفية من وظائف متعددة لفظية ومعنوية وتركيبية.
- تعضد الدلالة الصرفية دلالة الكلمة المعجمية لتؤدي الكلمة وظيفتها الدلالية والتداولية في بنية الخطاب.
- تؤدي الصيغ الصرفية وظيفة حجاجية حاسمة، سواء عبر الاختيار الموجه حجاجيا أو عن طريق العدول الصرفي المنتج لغرض إقناعي في سياق المحاجة.

فالخطاب القرآني خطاب حجاجي، مكتنز بالمواضع الحجاجية، ومنها ذات الطبيعة الصرفية، والتفاسير وإن مستها عرضاً، فإن أفرادها بالدراسة حجاجيا في إطار تفسيري لتعد مطمحا علميا جدير بالمباشرة البحثية.

8. قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ زكية السايح دحماني، "في دلالة الصبغ الصرفية"، مجلة المعجمية، العدد 17.16، 1 يناير 2001، ص131.
- ² ابن جني(أبي الفتح عثمان) ، الخصائص، تح: محمد علي النجار، بيروت، عالم الكتب- ج3، ص98.
- ³ المرجع نفسه، ص101.
- ⁴ ينظر: سعيد عكاشة، جماليات الإيقاع وأبعاده الدلالية في الشعر العربي، مجلة النص، الجزائر، المجلد03، العدد 01، 2016، ص ص353-364.
- ⁵ زكية السايح دحماني، مرجع سابق، ص132.
- ⁶ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، شرح الرضي على الكافية، (د ط) ج1، ص2.
- ⁷ ينظر: سبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، ج4، ص 5 وما بعدها.
- ⁸ ينظر: عبد القادر قندسي، تنوع الدلالة واختلافها في تحليل الخطاب القرآني، مجلة النص، الجزائر، مجلد2، العدد1، 2015، ص ص 213-230.
- ⁹ عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم :دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة-، بيروت، المكتبة العصرية ، ط1، 2001، ص19.
- ¹⁰ زكية السايح دحماني، مرجع سابق، ص137
- ¹¹ ينظر: ابن جني، مرجع سابق، ص100.
- ¹² علي يحياوي، الصيغة الصرفية و التحليل الدلالي - دراسة دلالية في الربع الاخير من القرآن الكريم، رسالة ماجستير، تخصص علم الدلالة والدرس اللساني الحديث، إشراف: سليمان بن علي، جامعة الجلفة، 2014-2015، ص84-85.
- ¹³ إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1976، ج3، ص 47.
- ¹⁴ ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ص100.

- ¹⁵ المرجع نفسه، ص ن.
- ¹⁶ المرجع نفسه ، ص 103.
- ¹⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص ن.
- ¹⁸ البخاري (كتاب الحج -باب متى يدفع من جمع) (2/ 604).
- ¹⁹ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 1997، ص13
- ²⁰ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، بيروت، المكتبة العصرية، (دت)، ص 204
- ²¹ ابن جني، المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث، ط1، 1954، ص 2.
- ⁽²²⁾ ينظر: جاك موشر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ، ص230.
- ⁽²³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص230.
- ⁽²⁴⁾ عبد الله صولة صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، تونس، مسكيلاني للنشر، ط 1، 2011، ص79.
- ⁽²⁵⁾ محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة، "مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة"، عالم الفكر، الكويت، العدد1، 1 يوليو 2004، ص196.
- ⁽²⁶⁾ علي الشبعان ، الحجاج في الخطاب: الحجاج وقضاياها من خلال روث أموسي-الحجاج في الخطاب-، ضمن: الحجاج مفهومه ومجالاته. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة تنظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، ، إريد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط 01، 2010، ص244.
- ⁽²⁷⁾ ميزوني قراد وزوبيدة ساسي، العوامل والروابط الحجاجية في النصوص القانونية:مقاربة تداولية في قانون الأسرة الجزائري، مجلة النص، الجزائر، مجلد10، عدد02، 2024، ص ص440-425 .
- ⁽²⁸⁾ باتريك شارودو، دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر لمهيري وحمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، تونس، دار سناترا، المركز الوطني للترجمة، د ط، 2008، ص399.
- ²⁹ أمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي -دراسة تداولية-، تونس، الدار المتوسطة للنشر، ط1، 2016، ص179.
- ³⁰ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة -بنيته وأساليبه- عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص106.
- ³¹ القرطبي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، لقاهرة، دار الكتب المصرية ، ط2، ج 6 ، 1384هـ - 1964 م، ص398.

³² البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق وتخريج الحديث: محمد عبد الله النمر -
عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، ج 3، 1417 هـ - 1997
م، ص 186.